حرب الأقمار

محمود سالم

حرب الأقمار

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

حرب الأقمار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٣٠١٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
اختراق وانفجارات!	١١
ليزر أم أشعَّة جاما؟	١٧
تدميرُ المقرِّ!	٢٣
الصفقةُ!	٢٩
الاختطاف عن بُعد!	٣٥
مفاجأة مذهلة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

اختراق وانفجارات!

اجتماع مهم للغاية؛ المكان: غرفة الاجتماعات الكبرى، الوقت: الساعة الثامنة مساءَ ذات اليوم.

الموضوع: سيُعرف في حينه.

ملاحظة مهمة: محظور استخدام أية أجهزة إلكترونية، أو حتى اصطحابها إلى غرفة الاجتماعات أثناء انعقاد الاجتماع!

كانت هذه الرسالة التي تلقَّاها الشياطين جميعًا على شاشات ساعاتهم الشخصية من رقم «صفر»، وكان ما بها يدعو للدهشة ولكثير من التساؤل، ولم يكُن بوسعهم عمل شيء غير الانتظار، واضطروا لاحتمال آلام فضولهم إلى أن حانت الساعة الثامنة إلا ثوانٍ قليلة؛ حين حضر رقم «صفر» ... وسمعوا أصوات تقليب الأوراق بين يديه، قبل أن يُلقيَ عليهم تحية المساء قائلًا: مساء الخير عليكم ... أعرف أنَّكم جميعًا تتساءلون عن سبب العودة إلى أسلوبنا التقليدي في الاجتماع؛ بعيدًا عن شبكة الإنترنت وأجهزة الكمبيوتر.

صمتَ للحظات، ثمَّ استطرد قائلًا: ولكن أستطيع أن أُخمِّن أنَّكم ستستنتجون الأسباب، بعدما طلبت منكم عدم اصطحاب أجهزة إلكترونية خلال الاجتماع؛ أليس كذلك يا «ريما»؟!

وانتبهت حواس «ريما» فجأة، ووصلت إلى مستوى إثارة قياسي حينما سألها رقم «صفر» هذا السؤال، فتوقَّفَت تجيب عليه.

فعلَّق رقم «صفر» قائلًا: وأنتِ جالسةٌ من فضلكِ يا «ريما»!

فجلست «ريما»، وأخذت نفَسًا عميقًا، ثم انطلقت تتحدث بكلمات متلاحقة قائلة: لتسمح لي سيِّدي الزعيم بأن أُهنِّئك على انتهاء العملية الأخيرة بنجاح فائق!

فقاطعها رقم «صفر» يشكرها قائلًا: شكرًا لكِ يا «ريما»؛ ثمَّ ماذا؟

فاستطردَت «ريما» قائلة: لقد خمَّنتُ أنَّ هناك اختراقًا إلكترونيًّا لأنظمة الاتصالات والمعلومات في المنظمة!

فقاطعها رقم «صفر» قائلًا: ليس هذا بالضبط؛ فحتى الآن لم يحدث اختراق ... ولكن هناك محاولات جادَّة لهذا، والتكنولوجيا المستخدمة فيه جديدة تمامًا، وعلينا وعلى مراكز بحوث المقرِّ والمُنظَّمة كلها. وبالطبع هناك عمل جادٌّ يدور الآن بالتنسيق بين إدارات المُنظَّمة المختلفة؛ للوصول إلى هؤلاء القراصنة قبل أن يصلوا إلينا.

وهنا علَّق «أحمد» قائلًا: عملًا بمبدأ الهجوم خيرُ وسيلةٍ للدِّفاع.

فقال رقم «صفر» موافقًا: هذا صحيح.

وصمت للحظاتٍ، ثمَّ استطرد قائلًا: القضيَّة أنَّ هناك رجلًا يتنازعه أربعة علماء؛ عالم في مجال الإلكترونيَّات، وآخر في مجال البيولوجيا، وثالث في مجال الاقتصاد، ورابع في العلوم العسكريَّة؛ وهو ضابط برتبة لواء متقاعد أخيرًا.

تغيَّر كمال الهدوء في القاعة، وسَرَت همهمة خفيفة تركها رقم «صفر» حتى هدأت، ثمَّ عاد يقول: هذا الرجل يجمعُ بين قدراته كبشري، وقدرة حاسب آلي متقدِّم، وقدرة أجهزة تنصُّت على أعلى مستوى ... وقد تكلَّف إعداده الكثير من الجهد والمال؛ هذا لأنَّه بالطبع لا يملك كلَّ هذه الإمكانيَّات في تكوينه الطبيعي؛ بل تمَّ زرعُ شرائح إلكترونيَّة له، وإجراء عمليَّات دمج بينها وبين خلاياه العصبية ... والخطير في الأمر أنَّه أصبح الآن في حوزة رجل العلومِ العسكريَّة؛ فقد اختطفه إلى مكان ما، وبقيَّة الشركاء يبحثون عنه.

وسيتبادر إلى ذهنكم سؤال مهم وحيوي ... وهو: وماذا يخصُّنا نحن في هذه القضيَّة؟!

وأجيبكم بأنَّ ما يخصُّنا هو أنَّ تقارير مركز معلومات المقرِّ تؤكِّد أنَّ هذا اللواء بينه وبين عصابة «سوبتك» تعاون مريب منذ فترة!

سَرَت الهمهمة مرَّةً أخرى بين جَنَبات القاعة. لم ينتظر رقم «صفر» عودةَ الهدوء، بل أكمل قائلًا: وتعرفون بالطبع ما بيننا وبين عصابة «سوبتك»؛ إنَّه تاريخ طويل من الصراع على التطويرِ والتحديث، والقدرة الدائمة على المواجهة والانتظار، ولهم عندنا أكثر من ثأر، ولن يهدءوا ولن يتراجعوا حتى يقتصُّوا منَّا، ولن يهدءوا ولن نتراجع عن المواجهة الدائمة والتصدِّي لهم في كلِّ مكان!

أنهى رقم «صفر» جملته، ثمَّ صمت للحظاتٍ قبل أن يسألهم قائلًا: هل لأحد منكم أسئلة عمَّا قلته؟

وكأنَّما كان «أحمد» ينتظر هذا السؤال؛ فقد بادر بقوله: حتى الآن يا زعيم نحن لا نرى ملامح لعمليَّة جديدة.

وهنا سارع رقم «صفر» بالتصحيح قائلًا: لا لا ... هناك عمليَّة مهمَّةٌ جدًّا، ولكنَّها خطيرةٌ للغاية ... فقد أبلغنا عميلنا في «سويسرا» أنَّ اللواء «زائيفي» — وهذا اسمه — هرب من مراقبتهم بمهارة تدعو للدهشة، وأنَّه يُرجح أن يكون قد توجَّه إلى منطقة «الشرق الأوسط»، ومعه الرجل الذي اختطفه — ويُدعى «مارلو» — بجوازات سفر عربيَّة ... غير أنَّنا — وبالاستعانة بأحدث تكنولوجيا المراقبة والتجسُّس — عرفنا أنَّهما يسكنان فيلَّا في قرية «أنماس» الواقعة على الحدود السويسريَّة.

وهنا علَّقت «إلهام» قائلة: إنَّه أحد مقارِّهم السرِّيَّة يا زعيم!

فأكمل رقم «صفر» قائلًا: نعم ... ولنا أيضًا هناك مقرٌّ يقع أسفل جبال القمَّة البيضاء.

فتدخَّل «عثمان» مضيفًا بقوله: لقد كانت لنا هناك أكثر من عمليَّة معهم.

رقم «صفر»: وستكون عمليَّتكم الجديدة أيضًا معهم هناك.

«أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«ريما» يستعدُّون للسفر ... سيصلكم ملفُّ العمليَّة وميعاد السفر ... أتمنَّى لكم التوفيق.

وكانت هذه الجملة الأخيرة هي نافذةُ الخروج من دائرة الترقُّب إلى رِحاب الحوار ... وساد الجوَّ هرج لدقائق، ثمَّ تجمَّعوا كلُّهم في حلقة حول «أحمد» يُعلِّقون على كلِّ ما سمعوه.

وانطلق من أقصى القاعة صفيرٌ حادٌّ متقطِّع، أعقبه تنبيه بضرورة التوجُّه إلى مركز معلومات المقرِّ.

وفي دقائق معدودةٍ، كانوا جميعًا في مركز المعلومات يستمعون لأنباء عاجلة عن وقوع حريق ضخم قُرب مُفاعل «أنشاص» التجريبي، ولم تَرِد معلومات بعدُ عن مدى تأثير الحريق على المُفاعل.

وفي لحظات كان «أحمد» يراسل رقم «صفر» عبر ساعته، ويتلقَّى منه رسالة يطلب منه فيها سرعة التوجُّه إلى «أنشاص» والعمل مع فريق الفحص والتحرِّيات هناك؛ للمعاونة في الخروج بنتائج سريعة ومُرضية؛ فالأمر خطيرٌ خطيرٌ خطيرٌ ... وعليه اصطحاب مَن يراه الأصلح لهذه المُهمَّة.

ولم تمرَّ دقائق إلا وكانت سيَّارة «أحمد» — «اللاندكروزر» — تُغادر جراج المقرِّ، وبها — غير «أحمد» — «رشيد» و«عثمان» ... وفي منتصف الممرِّ القاطع للحديقة والواصل

إلى بوَّابة المقرِّ، توقَّف ليلتقط «إلهام»، التي كانت تحصل من سيَّارتها على بعض أغراضها المُهمَّة ... ثمَّ انطلق ليكمل طريقه إلى قاعدة «أنشاص»، مرورًا بالبوَّابة الإلكترونيَّة للمقر التي انفتحت بمجرَّد اقتراب السيَّارة منها ... ومرورًا أيضًا بميدان «الرماية»، الذي دار حوله في انحناءة خطيرة، فارتفع صوت زمجرة فرامل السيَّارة، مُختلطًا بصوت هدير مُحرِّكها.

كان الطريق إلى «أنشاص» مُمهَّدًا ... وكذا الطريق إلى فهم هذا اللغز الذي كوَّن مُثلَّثًا من الغموض في عقول الشياطين؛ فقد بدأت «إلهام» الطريق بقولها: ألا ترون رابطًا بين الثلاثة أضلاع؟

وكان في نفس المُثلَّث مرسوم في عقل عثمان، الذي أجاب سؤالها بسؤال قائلًا: تقصدين تنبيه الصباح بعدم اصطحاب أجهزة إلكترونيَّة أثناء الاجتماع؟!

فصدَّقت «إلهام» على كلامه قائلة: هذا ضلعٌ.

وهنا تدخَّل «أحمد» ليُكمل المُثلَّث بقوله: والثاني «مارلو»؛ هذا الرجل الذي يحمل مؤسَّسة إلكترونيَّة بداخله، لديها قدرات كمبيوتر متقدِّم وقمر تجسُّس عالي التقنية.

فقالت «إلهام» لتقفل المثلث: والثالث هو انضمام هذا اللواء «زائيفي» ومعه «مارلو» إلى عصابة «سوبتك». وهنا طرح «عثمان» استفسارًا مُحيِّرًا حين قال: وهل النتيجة هي محاولة تخريب مُفاعل «أنشاص» النوويِّ؟!

أحمد: لِمَ لا؟ وقد تكون هذه بداية.

إلهام: تقصد أنَّ الحرب مع «سوبتك» أخذت مُنحنًى أكثر خطورة بدخول هذا الرجل النصف آلي؟

ضحك «عثمان» لتعبير النصف آلي الذي أطلقته على «مارلو»، وقال مُضيفًا: إنَّ التعريف الذي يُطلق على «مارلو» هو «سايبورج»، وهي كلمة خليط من «سايبر» — وتعني تدفُّق المعلومات من خلال الحاسوب — والمقطع الآخر هو جزءٌ من «أورجانك»، أيْ عضوي.

فابتسمت «إلهام» وهي تُعلِّق قائلةً: أعرف أنَّه كمبيوتر بشريٌّ.

عن بُعد ظهرت متاريس تُغلق الطريق، وعلى جانبيه كانت تقف سيَّارات الحرب الكيماويَّة التي تخصُّ القوَّات المُسلَّحة، وكثير من سيَّارت الإطفاء ... فقلَّل «أحمد» من سرعة السيَّارة وهو يقول: يبدو أنَّ الحريق كبير!

فاعتدلت «إلهام» في مقعدها وهي تقول: يبدو أنَّ كثيرًا من المسئولين قد حضروا.

ما إن اقتربت «اللاندكروزر» من بعض المتاريس ... حتى خرج ضابط بالجيش من خلف سيَّارة جيب رافعًا ذراعه لأعلى في إشارة بالتوقُّف.

ولم يكتفِ «أحمد» بالتوقُّف؛ بل فتح بابه ونزل ... وكذا فعل بقيَّة الشياطين وأيديهم في جيوب ستراتهم ... فشهر الضابط مدفعه في وجوههم، غير أنَّه ابتسم حينما أخرجوها ممسكة ببطاقاتهم الأمنيَّة.

وبعد أن اطَّلع عليها، سمح لهم بالمرور، وأرسل معهم أحد ضبَّاط الصفِّ؛ ليصطحبهم إلى مكان الحريق.

وحدث ما لم يتوقَّعْه الشياطين، بل ما أثار دهشتهم وحيرتهم ... فقد شرعت ساعاتهم في إطلاق وخزاتها بصورة مُتَّصلة، ممَّا دفعهم لخلعها، فهالهم ما رأوا على شاشاتها ... فالأرقام الصغيرة تتضخَّم وتتضخَّم حتى تملأ الشاشة، ثمَّ تختفي ... والألوان التي تحتويها ذاكرة الساعة والتي لا تحتويها تتراقص تباعًا على الشاشة! وفجأة صرخ «أحمد» قائلًا: أخرجوا تليفوناتكم المحمولة، وألقوا بها بسرعة!

وامتثل الجميع للأمر ... ولم تمضِ إلا ثوانٍ معدودة، حتى انطلقت أصوات انفجارات متلاحقة وسط دهشة الشياطين ... إنَّها أصوات تليفوناتهم. واندفع «عثمان» يسأله في دهشة قائلًا: كيف عرفت أنَّ تليفوناتنا تحوَّلت إلى قنابل شديدة الانفجار؟!

فتنفَّس أحمد بعُمق، ثمَّ قال: لقد ارتفعت درجة حرارة البطاريَّة بشدَّة، فعرفت أنَّ تفاعلًا غير حميد يتمُّ فيها. وهنا قال ضابط الصفِّ — يسألهم في دهشةٍ: وما الذي نشَّط التفاعل إلى هذا الحدِّ؟

أحمد: هناك نشاط إشعاعي يملأ المكان، وعليكم مغادرته بسرعة ... هل يمكنك إبلاغ قيادتك بهذا؟

ولم يتمكَّن الضباط من إجابة سؤال «أحمد»؛ فقد أحاطت ثلاث سيَّارات جيب باللاندكروزر كالمُثلَّث، وأمر الشياطين بالتوقُّف والنزول فورًا.

وما إن غادروها حتى أحاطوا بهم، وفتَّشوهم تفتيشًا دقيقًا، ثمَّ صعد منهم اثنان لتفتيش السيارة ... و«أحمد» يراقبهم دون أن ينطق؛ وكذا فعل بقيَّة الشياطين وأخيرًا اصطحبوهم في سيَّارة جيب، وتبعتهم اللاندكروزر يقودها أحد رجالهم.

ليزر أم أشعَّة جاما؟

رأى «أحمد» أنَّهم يتحرَّكون إلى داخل الصحراء، فصاح فيمَن حوله قائلًا: إلى أين أنتم ذاهبون بنا؟ المنطقة تتعرَّض لفيض إشعاعي قاتل!

فنظر إليه أحد الضبَّاط بغير اكتراث، ولم يُعره التفاتًا، فعاد يقول لهم: إنَّ تليفوناتنا المحمولة انفجرت من جرَّاء هذا الإشعاع.

فصاح فيه أحد الضبَّاط قائلًا: ولماذا لم تنفجر أجهزتنا اللاسلكيَّة؟!

أحمد: لأنَّ بطاريَّات أجهزتنا مصنوعةٌ من موادَّ نادرة تتفاعل مع هذه الأشعَّة.

فنظر له الضابط في غير تصديق ... ثمَّ عاود الصمت مرَّة أخرى، إلى أن انبعث دخان كثيف من مقدِّمة السيَّارة، فتوقَّف بها قائدها، ثمَّ نزل ليرى سببًا لهذا الدخان ... وما إن فتح غطاء المحرِّك حتى دوَّى صوت انفجار شديد؛ ألقي الرجل على ظهره ... ونظر الضباط إلى «أحمد» في دهشة وهم يفتحون أبواب الجيب وينزلون ليروا سبب ما جرى ... ونزل معهم «أحمد» وهو يقول لهم: إنَّها البطاريَّة؛ ألستُ على حقٍّ فيما قلتُه لكم؟!

كان وجه الرجل يُغطِّيه السواد، وكذا ملابسه، فأسرعت إحدى السيَّارات بحمله والانطلاق به إلى أقرب مستشفى؛ كما أمر قائدهم.

وحينما اطَّلع الباقون على مقدِّمة السيَّارة هالهم شكل البطاريَّة؛ فقد تناثرت أشلاؤها في أكثر من مكان فوق المحرِّك وخارج السيَّارة.

وهنا نظر الضابط إلى «أحمد» في تساؤل، فقال لهم: مَن لديه منكم تليفون محمول فليطمئنَّ على البطاريَّة، فإن ارتفعت درجة حرارتها فليتخلَّص منه فورًا.

وفي الحال انشغل الجميع بالاطمئنان على تليفوناتهم ... وفي حركة جماعيَّة مُفاجئة ألقَوا جميعهم بأجهزتهم إلى أقصى مدًى تسمح به أذرعتهم ... ولم تمضِ إلا ثوانٍ معدودة

حينما انبعثت أصوات انفجارات متتالية من أكثر من مكان، وهنا ابتسم «أحمد» وهو يقول لهم: هل أصطحبكم الآن إلى مكتب القائد؟!

ومرَّة أخرى اطَّلع الضابط على بطاقات الشياطين الأمنيَّة، ثمَّ دار بينهم حديث وُدِّي عرف منه «أحمد» أنَّ الحريق لم يصل إلى منشآت المُفاعل ... إلا أنَّ سؤالًا تقليديًّا — ولكنَّه مهمٌّ — ألحَّ بشدَّة على «أحمد»، فاندفع يقول لهم: ألم تعرفوا سبب الحريق؟!

فردَّ كبيرهم قائلًا: حتى الآن لا ... وهناك أكثر من سلاح يفحصون مُخلَّفات الحريق؛ للوصول إلى السبب، وعلى رأسهم سلاح الحرب الكيماويَّة.

أحمد: إنَّ لي رجاءً، وأرجو أن تقبلوه لمصلحة مصر.

فقال الضبَّاط في صوتٍ واحدٍ: نعم نقبله ما دام في مصلحة «مصر».

أحمد: أرجو ألا يعلم أحدٌ شيئًا عن انفجار التليفونات المحمولة.

نظر الضبَّاط لبعضهم، ثمَّ تحدَّث كبيرهم قائلًا: نحن نثق فيك يا «أحمد»، ونعدك بذلك.

أحمد: أرجو ألا يطول هذا كثيرًا ... وسأخبركم بنتائج بحثنا، وبعدها يمكنكم التصريح بما شئتم. فمدَّ له كبير الضبَّاط يده يُحيِّيه ويُودِّعه.

بادل الشياطينُ الضبَّاط التحيَّة، وانطلقوا عائدين، بعد مكالمة قصيرة أجراها «أحمد» عبر تليفون السيَّارة مع رقم «صفر»، وفي الطريق كان الحديث مُهمًّا، وتطرَّق إلى أسئلة كثيرة، ولكنَّ السؤال العقدة الذي أرهقهم جميعًا هو: مَن الذي فعل هذا؟!

مَن الذي أشعل الحريق، ولمصلحة مَن؟ وهل كان المقصودُ المفاعل، أم أنَّها مصادفةٌ؟! وهل الأشعَّةُ التي فجَّرت أجهزتهم المحمولة من نتاج مُفاعل «أنشاص»، أم هناك مَن يبثُّها مِن مكانٍ ما؟!

ثلاثة أسئلة مُهمَّة كان لا بُدَّ من طرحها على بقيَّة الشياطين في اجتماعهم المسائيِّ في مركز معلومات المقرِّ، والذي طلب «أحمد» عقده أثناء اتصاله برقم «صفر»، وبالفعل حضروا جميعًا الاجتماع عدا رقم «صفر»؛ فهو لم يطلب ذلك ... وكذلك «أحمد»؛ فما زالت القضيَّة في طَورِ البحث.

وأثناء انتظارهم لعودة «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«رشيد» ... راجعوا على أجهزة الكمبيوتر بعض التقارير المصوَّرة عن عصابة «سوبتك»، وعن عمليَّاتهم السابقة معهم، ووصلوا إلى نتائج قاموا بتلخيصها في تقارير تحوي نقاطًا مُركَّزة ومهمَّة.

وعندما اقتربت «اللاندكروزر» من ميدان «الرماية»، انطلقت إشارات من ساعات أيديهم تُعلن ذلك ... فتحوَّلوا إلى برنامج الاستطلاع، فظهرت على شاشات أجهزتهم المنطقة

المحيطة بالمقرِّ، ومن بين عشرات السيَّارات المزدحمة حول صينيَّة ميدان «الرماية»، رأوا «اللاندكروزر» وقد تغيَّر لونُها تمامًا ... وانقسموا جميعًا ما بين مُرجِّح أنَّها هي، ورافض لهذا الرأي.

فاللاندكروزر كُحليَّة داكنةُ اللون ... ولكنَّهم اتَّفقوا جميعًا على أنَّها هي، عندما صوَّبوا نقطة إشعاعٍ عليها كبؤرةٍ، ورأوا تفاصيلها أنَّها هي. كذلك صاح «مصباح» عندما رأى أرقامها ... ولحظتها، انتابهم جميعًا قلق قاتل؛ فقد قالت «ريما»: السيَّارة كانت في منطقة مُفاعلٍ ذرِّي، وهذه المنطقة تعرَّضت لحريق كبير.

والتقطت «هدى» سيل الأفكار منها، وقالت: وهذا يعني أن تغيير لون السيَّارة حدث بسبب نشاط إشعاعيٍّ في المنطقة.

وهنا فجَّر «قيس» قنبلة القلق التي ثارت بداخلهم، حينما قال: هذا ما حدث للون السيَّارة ... فماذا حدث إذن لأصدقائنا؟!

هكذا استبدَّ القلق بالجميع، ولم يلاحظوا أنَّ اللاندكروزر اختفت من على الشاشة، ولم يعُد لها وجود، إلا عندما طال انتظارهم ... ورأوا أقصى يمين أسفل الشاشة أرقام الدقائق تتصاعد وتتصاعد؛ لتعلن أنَّ ثلاثين دقيقة مرَّت منذ رأوا «اللاندكروزر» عند ميدان «الرماية»؛ فأين هي إذَن؟ ولماذا لم تصل؟

اتصالات عديدة أجرَوها مع جهاز أمن المقرِّ ومعمله ومركزه الصحِّي، فلم يعثروا على إجابة. اتصالاتٌ أخرى حاولوا إجراءها مع «أحمد» و«إلهام»، فلم تُفلح، ولم يصلوا إلى شيء.

تحوَّل القلق والفزع القابع بين أركان مركز معلومات المقرِّ إلى حيرة، وعشرات من علامات الاستفهام التي لم تهدأ إلا عندما اقتحم الغرفة عليهم زائر لا يعرفون له هُويَّة ... زائرٌ أزاغ أبصارهم، وأربكَ كلَّ قوانين المنطق في عقولهم؛ فقد كان يحمل رأسًا فضِّيًّا ووجهًا فضِّيًّا وأيديًا فضِّيَّة، حتى بذلته وحذاؤه ... كلُّ ما به فضِّي ... ولم يكتشفوا شخصيَّته إلا عندما تحدَّث؛ فقد قال لهم: أرأيتم ما فعله الإشعاع بي!

وهنا صاحت «ريما» قائلةً: ما هذا يا «أحمد»؟ لقد قلقنا عليك كثيرًا!

وصاح «قيس» وملء عينيه ابتسامٌ: لقد أيَّنَك الإشعاع!

شرع «أحمد» في غطاء الرأس وقناع الوجه وكذلك القفَّازات الفضِّيَّة، وهو يحكي لهم قائلًا: هذه بذلةٌ مضادَّةٌ للإشعاع، يدخل في تركيبها عنصر الرصاص، وتعرفون أنَّه فِلز خاصٌّ لا يتفاعل ولا يسمح بمرور الأشعَّة ... وهذا الفِلز تُبطَّنُ به الحوائط الأسمنتيَّة العازلة للإشعاع في المُفاعلات الذرِّيَّة.

وهنا صاح «بو عمير» من آخِر القاعة يسأله قائلًا: ولماذا ترتديه يا «أحمد»؛ ألم تنتهِ مُهمَّتكم في «أنشاص»؟!

هزَّ «أحمد» رأسه وهو شاردٌ، ثمَّ قال له: لا، لم تنتهِ؛ ولنا عودةٌ إلى هناك!

والتفت فجأةً كلُّ الشياطين الموجودين بالقاعةِ إلى مَن تقف بالباب ... إنَّها «إلهام»، التي حيَّتهم واتَّجهت مباشرةً إلى مقعدها خلف جهاز الكمبيوتر الخاصِّ بها ... ومن ورائها دخل كلٌّ من «رشيد» و«عثمان»، ومثلما فعلت فعَلَا، واتَّخذا مقعدهما خلف جهازيهما ... واستدار الجميع إلى لوحة المفاتيح، وبالطَّرق على بعض أزرارها كانت كلُّ الأجهزة في وضع الاستعداد لعقد الاجتماع عبر الإنترنت.

وهي تعني الشبكة الداخليَّة للمقرِّ، أيْ تُعقد دون اتصالات خارجيَّة ... وعلى جميع الشاشات ظهر شعار الشياطين صغيرًا في منتصف الشاشة، ثمَّ أخذ ينمو وينمو ليملأها تمامًا، ثمَّ خرج من أضلاعها الخارجيَّة ليحُلَّ مكانه وجه رقم «صفر» ... ولكنَّه ليس دقيق الملامح، بل تفاصيله دائمة التغيير؛ فلا يمكنك تذكُّر أيَّة ملامح له، لكنَّك تخرج بانطباع عامٍّ بالألفة والحزم.

«مساء الخير»؛ قالها رقم «صفر»، ثمَّ أكمل قائلًا: في الاجتماع السابق تقرَّر سفرُ مجموعة منكم إلى «سويسرا»، ولكن يبدو أنَّ «سويسرا» أتت إليكم هنا في «أنشاص»!

ضغط «أحمد» زرًّا وصلت إشارته إلى رقم «صفر»، فأعطاه الكلمة، فقال: معنى هذا أنَّكم ترون أنَّ هناك صلة بين ما جرى في «أنشاص» وبين عصابة «سوبتك»؟

تغيَّرت ملامح رقم «صفر» على الشاشة وهو يقول: ليس هذا فقط، ولكنَّنا نرى أنَّ مَن فعلها هو اللواء المتقاعد «زائيفي»، بمعاونة الرجل «السايبورج» — «مارلو».

هذه المرَّة طلبت «إلهام» الكلمة، وقالت: هل هذا يعني أنَّ «زائيفي» و«مارلو» في «مصر»؟!

اختفى وجه رقم «صفر» من على الشاشة، وظهر بدلًا منه قمر صناعي يصاحبه صوت رقم «صفر» وهو يقول: هما لا يحتاجان للسفر إلى هنا؛ فلديهما أقمار «سوبتك» العديدة، وهذا القمر الذي ترونه على الشاشة الآن ليس قمر اتصالات ... إنَّه قاعدة إطلاق؛ فهو يحمل مُولِّدات ليزر متقدِّمة للغاية وعالية الطاقة.

وكانت الإشارة هذه المرَّة من «رشيد» الذي قال بعد أن أعطاه رقم «صفر» الكلمة: ومن أين يحصل هذا المُولِّد على الطاقة؟!

عاد وجه رقم «صفر» مرَّة أخرى للشاشة وهو يقول: من التفاعُلات الذرِّيَّة؛ فالقمر مُزوَّد بأحدث بطاريَّات ذرِّيَّة عرفها العالَم.

وكانت الإشارة هذه المرَّة من «عثمان»؛ حيث قال: ولكن ما واجهناه في «أنشاص» لم يكن أشعَّة ليزر؛ بل يُحتمَل أن تكون أشعَّة «جاما» أو …

وهنا قاطعه رقم «صفر» قائلًا: مركز بحوث المقرِّ استطاع تفسير كل شيء في تقرير مُطوَّل، عُرض على لجنة من كبار علماء المُنظَّمة … ومَن يريد منكم أن يطَّلع عليه مُفصَّلًا أو يطَّلع على النتائج فقط، فله مُطلق الحرية في ذلك … ومَن يريد أن يناقش أيَّ فكرة أو معلومة أو تفسير فيه، فيمكنه الاتصال بمَن شاء من العلماء … وأيضًا من الضباط، وبي شخصيًّا في أيِّ وقت.

والآن عرفنا مَن سنواجه، ولكنَّنا لم نعرف بعد أين ومتى سنواجهه. حتى الآن احتمال مواجهته على أرضه هناك في قرية «أنماس» هو الأرجح؛ فالهدف هو التخلُّص من هذا اللواء والرجل «السايبورج» الذي بصحبته … كونوا على استعداد دائمًا؛ وفَّقكم الله.

عندما ضحك «أحمد» هذه المرَّة، كان لضحكته ولأوَّل مرَّة أسباب علميَّة، وكانت «ريما» هي أكثر الشياطين فضولًا لمعرفة سبب هذه الضحكات، فسألته قائلة — في تهديد مباشر: تضحك ولا نعرف الأسباب؛ فهل ستخبرنا؟!

احتفظ «أحمد» بابتسامته وهو يقول لها: إن كان سببُ ما حدث في منطقة «أنشاص» أشعَّة ليزر، فلكم أن تتخيَّلوا أشعَّة ليزر تُسلَّط على تليفوناتكم المحمولة وتُكسبها هذه الطاقة … وأنتم تستمتعون بدفئها فوق صدوركم … ثمَّ يتحوَّل هذا الدفء الخادع إلى انفجار لا نعرف نتائجه!

تدخَّلت «إلهام» في الحوار؛ تسأله في دهشة قائلة: وهل ستعرف الأشعَّة موقع التليفون، مع أنَّ موقعه يتغيَّر كلَّما تحرَّكنا؟!

وكان «أحمد» جاهزًا بالإجابة، فقال: الأمرُ بسيطٌ … فهم يرسلون موجات تتبُّع؛ لتحديد الموقع لحظيًّا بدقَّة قبل إطلاق الشُّعاع المُدمِّر!

تدميرُ المقرِّ!

إنَّهم يستطيعون تحديد موقع المُفاعل وتفاصيله بدقَّة ... وقد يمكنهم إصابة المحجل أو غيره، وإحداث كارثة لا يعلم إلا الله مداها. كان هذا رأي «رشيد» ... ولأسباب فنية أراد «أحمد» تهدئة المخاوف لدى الشياطين، فقال لـ «رشيد»: أعرف يا «رشيد» أنَّك تتذكَّر حادثة ضرب الطائرات الإسرائيليَّة لمُفاعل «العراق»، ولكن لا تخَف؛ فحادثة «أنشاص» تختلف؛ لأنَّه مُفاعل تجريبي، وإذا حدث به شيءٌ لن يُؤدِّي إلى ما حدث لـ «تشرنوبل» مثلًا.

وأعلى يمين الشاشة ظهرت دائرة حمراء؛ وجَّه «أحمد» إليها المؤشِّر، فظهرت له رسالة تقول: «المجموعة التي سبق اختيارها للسفر إلى «سويسرا» تستعدُّ للسفر غدًا، في تمام الساعة السابعة صباحًا ... رقم «صفر».»

كان الأمر مباشرًا ولا يحتمل النقاش، وكان تنفيذه واجبًا لا يحتمل التفكير؛ لذا توجَّه الأربعة شياطين المُكلَّفون بالسفر إلى غرفهم الخاصَّة؛ حيث أعدُّوا حقائب السفر، ثم استعدُّوا للنوم.

وكعادته في ليالي الصيف، ينام «أحمد» فاتحًا النافذة المجاورة لسريره؛ ليسبَح بخياله في سماءٍ مزدحمةٍ بالنجوم، فيحمله ذلك بعيدًا عن تفاصيل حياته اليوميَّة، ويُسلمه للنوم مسلوب الإرادة.

غير أنَّه لم يلبَث أن استيقظ على وخز ساعته في رسغه، فظنَّ أنَّها رسالةٌ، وعندما نظر في شاشتها، لم يرَ ما يدلُّ على ذلك ... وكان تأثير النوم لا يزال في عينيه، فاستسلم مرَّة أخرى له ... ولم تدعه ساعته يستغرقُ في نومه؛ فقد وخزته مرَّة أخرى، ممَّا أثار حنقه ... فقام بالاتصال بكمبيوتر التتبُّع، فلم يجد إشارةً تدلُّ على أنَّه تسلَّم رسالة، فظنَّ أنه يحلم ... وقبل أن يعود مرَّة أخرى للنَّوم، تكرَّرَت الوخزات للحظات ثمَّ توقَّفَت ... وهنا عرف أنَّ

ما تفعله الساعة لا يدل على تسلُّم رسالة أو اتصال؛ فما يحدث الآن يُذكِّره بما حدث في «أنشاص» قبل انفجار تليفوناتهم المحمولة.

إنَّها موجات ليزر قصيرة للغاية ... ولكن لماذا تتوقَّف سريعًا؟ مرَّة أخرى شعر بوخزة واحدة سريعة، ثمَّ توقَّفَت ... وهنا عرف أنَّه شعاع استكشاف، يتحرَّك جيئةً وذهابًا في دوائر تضيق وتتَّسع.

فقام بالاتصال بضابط أمن المقرِّ ومركز الاتصالات، وطلب منهم توجيه كل أطباق الاستقبال لمراقبة هذه الإشارة وتتبُّعها؛ لرصد القمر الذي يرسلها.

وفجأةً قطع سكون الليل صوت ارتطام جسمٍ ثقيل بالأرض، فهرع إلى النافذة ليستطلعَ الأمر، فرأى أكبر أطباق الاتصال نائمًا على الأرض لا حول له ولا قوَّة ... فكيف سقط؟!

هل هذا يعني أنَّ هناك عملاء لـ «سوبتك» بالمقرِّ؟

وللإجابة عمَّا يدور في ذهنه من أسئلة، هبط مسرعًا إلى الحديقة الخلفيَّة؛ حيث يستقرُّ طبق الإرسال، فوجد نصف العمود الذي يحمله لا يزال مُثبَّتًا به، وآثار انصهار جسمه المعدني واضحة ... فعرف أنَّ شعاع ليزر عالي الطاقة قد سُلِّط عليه من نفس القاعدة المداريَّة ... وهنا استنتج أنَّ موجة التتبُّع التي أثارت الوخزات في ساعته لم تكُن تبحث عن ساعته فقط، لا؛ بل كانت تُصوِّر كلَّ أجهزة الإرسال والاستقبال والرصد الموجودة بالمقرِّ ... هذا إن لم يكُن بباقي المقارِّ الأخرى!

فماذا يعني هذا؟!

هل يعني أنَّ كلَّ الأجهزة — وأطباق الاستقبال معها — مُعرَّضة للتدمير بأشعَّة ليزر مماثلة؟! إنَّها كارثة؛ فالحياة الآن اتصالات، والاتصالات أقمارٌ صناعيَّة؛ فكيف سيديرون عملهم في المُنظَّمة بلا اتصالات؟! وقبل أن يسأل نفسه إن كانت موجات التتبُّع وصلت إلى ساعات زملائه أم لا ... تذكَّر أنَّه وحده الذي يضع سريره بجوار النافذة، وكان هذه الليلة ينام ونافذته مفتوحة.

مرَّة أخرى دوَّى في صمت الليل ارتطام جسم ثقيل بأرض الحديقة الخلفيَّة للمقرِّ، وجرى «أحمد» ومَن معه ليستطلعا الأمر ... فوجد طبقًا آخَر من أطباق الاستقبال ينام مقلوبًا على الأرض، وقد ظهرت علامات الانصهار على بقيَّة أجزاء البرج المعدنيِّ المُثبَّت به.

بدت مشاعر الانزعاج ترتسم على وجه رجال الأمن الذين تجمَّعوا في المكان ... ذاك أنَّهم لا يعرفون كيف يدافعون عن المقرِّ ويوقفون ما يجري لأطباق الاستقبال.

وبدأت الأنوار تُضاءُ تباعًا في كلِّ غرف المقرِّ، واستيقظ معظم العاملين به، وخلال دقائق كان الجميع في كامل لياقتهم ومتواجدين بحديقة المقرِّ الخلفية؛ يستطلعون ما جرى لأكبر أطباق المقرِّ ... وثلاثة مهندسين يفحصون السِّيقان المعدنيَّة المُثبَّتة فيه، والتي تبقَّت من البرج المنصهر الذي كان يحمله ... وكأنَّها كانت فرصة لـ «سوبتك»؛ فقد اصطدم شعاع ليزر أحمر سميك بأرضيَّة الحديقة، فصنعت بها فجوة عميقة، ولولا ترنُّحهم يمينًا ويسارًا لصهرهم الشعاع. ومرَّة أخرى علا صوت ارتطام برج معدني بأرض المقرِّ، وكان الصوت يأتي من عند باب الخروج الكبير.

وجرى «أحمد» إلى غرفة التحكُّم في الأطباق، فوجد المهندسين والفنِّيِّين في حالة ارتباكٍ قصوى.

فسيطرتهم على قمر المُنظَّمة كادت تنعدم ... فقد تمَّ تدمير الطبقين الرئيسيَّين، ولم يتبقَّ غير الطبق الاحتياطيِّ. وعندما علم منهم «أحمد» ذلك، سألهم سريعًا عن كيفيَّة الحفاظ على هذا الطبق دون تدميرٍ ... وتلاحقت الاقتراحات، ولكن كلها كانت غير ذات جدوى، إلى أن اكتشف الضابط «حسام»، وكان يقف بباب غرفة المراقبة يتابع الحوار، اكتشف أنَّ الأطباق التي أُسقِطَت هي التي كانت تعمل، والطبق المتبقِّي هو الطبق الاحتياطي ... فسألهم قائلًا: هذا يعني أنَّ الطاقة كانت مقطوعة عنه؟!

فأجابه أحد المهندسين قائلًا: هذا قبل نصف ساعة.

فبدا على الضابط «حسام» القلق، وقال له: هل تعني أنَّه موصَّل بالطاقة الآن؟!

فقال المهندس بثقة: نعم؛ فلم يعُد لدينا غيره ... وفي هذه اللحظات بالذات.

قطع سكونَ الليل دَوِيُّ ارتطام جسم القمر الاحتياطي بأرض المقرِّ.

ومن فرط حنَقه صاح الضابط «حسام» قائلًا: كيف تفعلون ذلك، وقد رأيتم بأنفسكم ما حدث للقمرين السابقين؟

الآن لم يعُد لديكم أطباق تحكُّم في المقرِّ، وبهذا ضاع وضاعت معه سرِّيَّة اتصالاتنا ... فمِن الآن وآتٍ، سنعتمد في اتصالاتنا على الشبكات العامَّة؛ وهذا خطير للغاية، ولا يمكننا إدارة عمليَّاتنا بهذا الأسلوب أبدًا!

فقال «أحمد» يُطمئنه: ولكن تليفوناتنا المحمولة على اتصال مباشر بالقمر الصناعيِّ.

وهنا أجاب مهندسُ الاتصالات قائلًا: إنَّ المشكلة الآن هي كيف سنقوم بتوجيه القمر، وتعديل أيِّ انحراف له؟

في هذه الأثناء، كان الضابط «حسام» يقوم بتجربة تليفونه المحمول، بالاتصال بالمقرِّ السرِّي الكبير عَبْر قمر المُنظَّمة، فرأى على شاشة تليفونه وجهًا أشقر لرجل في الأربعين من عمره يبتسم في زهو، فصاح فيه «حسام» يسأله قائلًا: مَن أنت؟!

فأجابه بإنجليزيَّة طليقة: أنا لواء «زائيفي» يا حضرة الضابط.

تحيَّر الضابط «حسام» ممَّا يجري، وقال يسأل «أحمد»: لقد حدَّثتُه بالعربيَّة، ففهمني وردَّ بالإنجليزيَّة!

فقال «أحمد» لتهدئته: إنَّ لديه مترجمًا فوريًّا في برنامج التليفون.

وعاد يقول له سائلًا: ولكن مَن هو؟!

وكانت الإجابة هذه المرَّة من «زائيفي»، الذي ظهرت صورته على كلِّ الشاشات في غرفة المراقبة وهو يبتسم في زهو ... وخرج صوته من مجموع مكبِّرات الصوت المنتشرة في أركان الغرفة وهو يقول: أعلم أنِّي أُحادث أكثر المُنظَّمات الأمنيَّة تقدُّمًا في الشرق الأوسط، ولكنِّي أرى علامات الدهشة والعجز على وجوهكم؛ لمستوى التقدُّم العلمي والتِّقني الذي وصلت إليه مُنظَّمتنا! وضحك «أحمد» ساخرًا ممَّا يقوله ... وردَّ عليه قائلًا: أيُّ عجز تتحدَّث عنه وأنت لا ترانا؟ إنَّها لعبة قديمة لا تليق بحداثة هذا العصر يا لواء «زائيفي»!

وهنا صاح «زائيفي» في غيظ يقول: أنت لا تُصدِّق أنِّي أراكم ... وأنا سأثبت لك ذلك!

واستطرد يقول له: أنت تقف بجوار الضابط المُمسك بالتليفون، وتنظر لوجهي في الشاشة ... أليس كذلك يا «أحمد»؟!

فهم «أحمد» ما يجري، فوضع إصبعه على عدسة كاميرا التليفون، وقال لـ «زائيفي»: هل ترى شيئًا الآن أيُّها اللواء؟!

ضحك «زائيفي» في سعادة وهو يقول له: يا لك من شاب ذكي ... والآن اسمع منِّي هذه الطُّرفة!

ودوَّى صوت انفجار شديد في إحدى الغرف الخلفيَّة للمقرِّ، وحضر أحد الجنود يجري، وقال وهو يلهث: لقد انفجر خزَّان الهيدروجين الخاص بخليَّة الوقود الصغرى.

ولم يتمالك الضابط «حسام» أعصابه، وصاح غاضبًا: يا لك من غبيٍّ أيُّها اللواء «زائيفي»؛ ستدفع ثمن ذلك غاليًا!

وعلى شاشات المراقبة ظهرت السعادة على وجه «زائيفي» وهو يضحك في صخب، ويقول: أأقول لكم طرفة أخرى؟ فلديَّ طرائف كثيرة!

وعاد للضحك مرَّة أخرى ... ثمَّ عاد يقول: اسمعوا هذه الطُّرفة!

صاح الضابط «حسام» في حنق قائلًا: ما هذا الذي تُشاهدونه؟ أغلقوا هذه الشاشات ... هذا الرجل يُريد أن يُضعف معنويَّاتكم!

لكن «أحمد» كان له رأيٌ آخَر، فقال للضابط «حسام»: يجب ألا يُثيرنا هذا اللواء بما يقول، ويجب ألا نقطع اتصالنا به؛ حتى نستطيع مواجهته.

وصاح «زائيفي» ويملأ صوته زهو المنتصر: يا لكَ من حكيم أيُّها الشابُّ ... إنَّني معجب جدًّا بك؛ ألستَ أنت ...؟

لم يدعه «أحمد» يكمل كلامه، بل قاطعه قائلًا: لا شأن لك باسمي، ودعنا ...

ولم يتركه «زائيفي» يكمل كلامه، فقاطعه قائلًا: لا يصحُّ أن تعرف اسمي من غير أن أعرف اسمك!

ولكي ينتقل بالنقاش إلى نقطةٍ أهم، قال له: اسمي «أحمد».

وبدا على «زائيفي» أنَّه غير مقتنع بهذا الاسم؛ فقد ردَّ قائلًا: سأفترض أنَّك لا تكذب عليَّ، وأنَّ هذا اسمك ... هل تعرفُ لماذا أفعل معكم ذلك؟

وهنا تدخَّل الضابط «حسام» قائلًا: وهل ستقول الحقيقة؟ أنا لا أظنُّ ذلك!

ورغم أنَّه كان يحادث «أحمد»، فإنَّه التفت إلى ما قاله «حسام»، وقال يُحيِّيه: اسمعني أوَّلًا، وبعدها يمكنك أن تعرف وحدك إنْ كنت صادقًا أم لا.

ولم يعجب الكلام «أحمد»؛ فهو يريد إجابات أكثر تحديدًا ... فقال له: ما الذي سيدفعك لإخبارنا بالحقيقة؟ ولماذا تُضيِّع وقتك الثمين؟

زائيفي: أنا لا أُضيِّعه؛ أنا أستثمره!

أحمد: كيف؟

زائيفي: سأعقد معكم صفقة.

أحمد: أيَّة صفقة؟!

الصفقةُ!

قال «زائيفي»: بالطبع أنتم تعرفون مُنظَّمة «سوبتك»، أو عصابة «سوبتك» كما تُسمُّونها ... إنَّها أكثر جماعات الجريمة المُنظَّمة تقدُّمًا وتطوُّرًا وإنفاقًا على العلم والبحث العلميِّ، وقد نشأت بيني وبينهم علاقات عمل وصفقات متبادلة، وكنتم أغلى صفقة عُرضت عليَّ؛ فثمن التخلُّص منكم والقضاء عليكم تمامًا هو مائة مليون دولار، ويمكنني الاستفادة من كلِّ إمكانيَّات الجماعة في إتمام ذلك؛ فأنتم قد سبَّبتم لها قلقًا شديدًا، وكبَّدتموها خسائر فادحة في الأموال والأفراد. واستفزَّ «أحمد» سؤالٌ أراد أن يعرف إجابته، فقال له: وما الصفقة التي تريد عقدها معنا؟!

تنفَّس «زائيفي» بعمقٍ قبل أن يقول له: سأبيعهم لكم.

وأراد الضابط «حسام» أن يردَّ، غير أنَّ «أحمد» رفع ذراعه رافضًا، ثمَّ قال: تبيعهم كيف؟ وبِكَم؟

وبلهجة مباشرة قال «زائيفي»: سأتوقَّف عن مهاجمتكم، ونُسرِّب لهم أخبارًا كاذبة عن فظائع حدثت لكم، وأكون أنا صانعها.

قال هذا وصمت، ممَّا أثار الضابط «حسام»، فقال يستحِثُّه على الكلام: وما الثمن؟!

«زائيفي»: تدفعون لي مائة وخمسين مليون دولار، بتحويلٍ بنكيٍّ، وسأخبركم باسم البنك ... وسأترك لكم مهلة عشر ساعاتٍ، وبعدها سأحكي لكم طُرفة أخرى ... ومع مرور الساعات ستكثر الطرائف حتى أنتهي منكم.

وكما حضر فجأةً ... اختفى فجأة من على كلِّ شاشات المقرِّ، وأيضًا من على تليفون الضابط «حسام»، وترك خلفه قرارًا لا رجعة فيه بالسفر إلى «سويسرا» لدى كلٍّ من جماعة الشياطين.

فكما قال «أحمد» ... هذا الرجل يعرف أكثر ممَّا ينبغي، وتجرَّأ أكثر ممَّا ينبغي.

كانت الساعة قد اقتربت من السادسة صباحًا، وميعاد طائرتهم إلى «سويسرا» هو السابعة، والطريق من المقرِّ إلى المطار سيستغرق أكثر من ثلثي الساعة في حالة ما إذا كان الدائريُّ مفتوحًا وغير مزدحم.

تحيات حارَّة وأمنيات عاجلة بالتوفيق تبادلها المسافرون مع زملائهم ... توجَّهوا بعدها إلى جراج المقرِّ، وكانت «اللاندكروزر» فيه دائرة، وخلف عجلة قيادتها يجلس «مصباح» الذي اقترح عليهم أن يرافقهم إلى المطار ... ورأوا أنَّه اقتراح رائع.

ولحسن حظِّهم، كانت الحركة على الطريق الدائريِّ انسيابيَّة إلى حدٍّ كبير؛ فلم يشعروا بأيِّ توتُّر ... وانصرفت أذهانهم إلى قرية «أنماس» وما أتاهم منها؛ فذلك الـ «زائيفي» تجرَّأ أكثر ممَّا يُحتمل، وخطى إلى داخل الحرم الأمنيِّ للمنظَّمة، بل وأطلق أشعَّته المُدمِّرة على ما حلا له في المقرِّ ... وهذا وحده يوجب العقاب، وسيكون عقابًا قاسيًا كما قال «أحمد».

وقبل الثلثي ساعة، كان المطار على مرمى أبصارهم ... وقبل الثلثي ساعة أيضًا، كانوا قد وصلوا وودَّعوا «مصباح»، الذي آثَر ألا يتركهم إلا بعد أن أنهَوا كلَّ إجراءات السفر، ورأى بنفسه أحد رجال الأمن يصطحبهم في سيَّارة خاصَّة إلى سُلَّم الطائرة.

غادر «مصباح» المطار في الوقت الذي غادرته فيه الطائرة، وكان يعرف أنَّها الطائرة التي يسافر عليها زملاؤه، فابتسم لهذه المصادفة، وتمنَّى لهم مُهمَّة ناجحة ... أمَّا في الطائرة، فقد تمنَّى رقم «صفر» لهم النجاح في القصاص من هذا اللواء المغرور ... وكيف حدث ذلك؟!

عندما سلَّمتهم المضيفة سمَّاعات الأذن الخاصَّة بهم، كان مع كلٍّ منها كارت منه ... من رقم «صفر»!

نظر الشياطين إلى المضيفة وابتسموا ... أمَّا «ريما» فقد همست لـ «إلهام» قائلة: أيُّهما أكثر ارتفاعًا؛ طائرتنا التي نركبها أم القمر الصناعي؟!

ولم تنتظر الإجابة، بل أجابت قائلة: القمر الصناعي طبعًا!

وعندما نظرت لها «إلهام» مُستفسرة، أكملت كلامها قائلة: أي إنَّ محطَّة إطلاق الليزر المداريَّة الآن فوقنا، ويمكن للمدعو «زائيفي» هذا أن ينتهي منَّا بسهولة.

ابتسمت «إلهام» وهي تسمعها، وقالت: وكيف سينتهي منَّا «زائيفي»؟!

كانت «ريما» غير مُصدِّقةٍ أنَّ «إلهام» لم تفهم مقصدها ... ومع ذلك أجابتها قائلة: ألا يستطيع إطلاق شعاع ليزر على الطائرة؟!

لم يكُن «عثمان» بعيدًا عن الحوار؛ فقد كان يجلس بجوارها، غير أنَّه لم يتدخَّل إلا عندما أثاره ما تقوله «ريما»، فقال يُداعبها: كيف سيُدمِّر طائرة أنتِ فيها؟!

ابتسمت «ريما» لمداعبته، وشعرت أنَّها أفرطت في التخيُّل.

إلا أنَّ «أحمد» — الذي لم يكن يجلس بعيدًا عنهم — رأى جانبًا كبيرًا من الحقيقة فيما تقوله «ريما»، وقد راود ذهنه كل ذلك قبل ركوب الطائرة ... ولولا قلَّة ساعات النوم التي حصلوا عليها، ما زار النوم عيونهم بعد هذه الأفكار المزعجة ... وقد بدأ الأمر بـ «إلهام» التي لم تشغل نفسها بكلِّ ذلك؛ فما دامت هناك فرصة لتعويض ساعات النوم التي فاتتها، فهي لا تُضيِّعها؛ رغبةً منها في استعادة كامل لياقتها الذهنيَّة والبدنيَّة ... ولأنَّ «أحمد» يعرف أنَّها على حقٍّ في ذلك؛ فإنَّه لم يقاوم النوم، بل انزلق إلى بحيرته الدافئة الناعمة ... تلاه في ذلك «ريما»، ثمَّ «عثمان».

ولم يمضِ وقت طويل، حين انبعث من الإذاعة الداخليَّة للطائرة صوت القائد يقول: أرجو من السادة الرُّكَّاب إغلاق التليفونات المحمولة أو أيِّ أجهزة إلكترونيَّة لديهم؛ فهناك شوشرة على أجهزة الملاحة الإلكترونيَّة، وهذا سيُعرِّضنا للخطر.

وكعادتهم حينما لا يكونون في أسِرَّتهم، فإنَّهم إذا ما استغرقوا في النوم تظلُّ آذانهم مستيقظة. وما إن سمعوا نداء الكابتن، وضع كلٌّ منهم يده في جيب سترته، وأخرج تليفونه ليطمئنَّ أنَّه مغلق. وباتفاق صامت فيما بينهم، غادر «أحمد» مقعده متوجِّهًا إلى كابينة القائد، غير أنَّ حارس الأمن الجالس بجوار الباب رفض فتحه له ... وعندما أخرج له بطاقته الأمنيَّة، أخذها معه وغاب داخل الكابينة لدقائق، ثمَّ خرج وسمح له بالدخول.

دخل «أحمد» إلى غرفة القيادة في هدوء ... وما إن رآه قائد الطائرة، ابتسم وحيَّاه في ود بالغ ... فسأله «أحمد» عن سبب النداء السابق وطلبه إغلاق الأجهزة الإلكترونيَّة، فقال الكابتن وهو يضغط بعض الأزرار: إنَّ أجهزة الملاحة الإلكترونيَّة الخاصَّة بالطائرة، بها مُستقبلات غاية في الحساسيَّة، والمفروض أنَّها الأجهزة المسئولة عن توجيه الطائرة ... فإذا ما أصدر أيُّ جهاز على الطائرة موجات كهرومغناطيسيَّة كالتي تُطلقها أجهزة التليفونات المحمولة أو أيَّة أجهزة إرسال واستقبال، فإنَّها تؤثِّر تأثيرًا سلبيًّا على هذه الأجهزة.

فعلَّق أحمد قائلًا: وهذا ما حدث؟

الكابتن: نعم.

مرَّة أخرى اضطربت الأرقام والخطوط البيانيَّة على شاشات التوجيه، وفي انزعاج واضح كرَّر الكابتن نداءه — بل تنبيهه — على الرُّكَّاب بأنَّ ما يقومون به سيُعرِّض

حياتهم كلهم للخطر ... ورغم ذلك ظلَّت حالة الاضطراب تعمُّ الأجهزة، ولم يتوقَّف الأمر عند ذلك؛ بل امتدَّ إلى استقرار تعليق الطائرة في الهواء؛ فقد اضطرب هو الآخَر، واهتزَّت الطائرة اهتزازًا مُؤثِّرًا ... ونهض الملَّاح — مساعد الكابتن — من على مقعده المجاور للقائد، وقبل أن يُغادر الكابينة، أمسكه «أحمد» من منتصف ذراعه، وقال له: لن يفعل أحد الرُّكَّاب ما يضرُّ الطائرة؛ لأنَّه سيخاف على حياته قبل حياتنا ... إنَّ مَن فعلها هو شخصٌ متمرِّس يعرف ماذا يفعل دون خوف، وهو يقصد بذلك الوصول إلى نتيجة في صالحه هو فقط، قد تصل إلى اختطاف الطائرة ... فأرجو ألا تتصرَّف بانفعال، ودع الأمر لرجال الأمن والمضيفات.

نظر الملَّاح إلى الكابتن، فأطرق له برأسه، فعاد إلى كرسيِّه ... غير أنَّ الأمور أصبحت غير مريحة، بل خطيرة؛ فقد انحرفت الطائرة انحرافًا حادًّا أدَّى لسقوط ركاب صفوف الجانب الأيمن، وانزلقت أغراضهم من على الرفِّ الذي يعلوها.

فانتفض الكابتن واقفًا، وغادر مقعده والكابينة كلَّها وخلفه «أحمد»، وتوجَّه إلى المقصورة، فوجد الرُّكَّاب في حالة فزع، وما إن رأوه حتَّى علا صراخهم بالاعتراض والاستفسار، فرفع ذراعيه يُطمئنهم ... وفي مصادفة غريبة، عادت الطائرة إلى استقرارها مرَّة أخرى بمجرَّد أن أنزل ذراعيه.

وعندما عاد مرَّة أخرى إلى الكابينة، كان وراءه ليس «أحمد» فقط؛ بل «إلهام» و«ريما» و«عثمان».

وحين استقرَّ على مقعده، لفت نظره وجودهم، فنظر إليهم متسائلًا ... فعرَّفه «أحمد» عليهم، فالتفت مرَّة أخرى إلى شاشة التوجيه والعرق يتصبَّب منه رغم برودة الجوِّ في الكابينة، وقال يُحادث نفسه: لم أرَ أمورًا أكثر غرابة ممَّا يحدث الآن!

فاندفعت «ريما» تقول له: إنَّ سبب ما حدث ليس من داخل الطائرة.

التفت الكابتن والملَّاح إليها في تساؤل، فأكملت قائلة: هناك مؤثِّر خارجي هو الذي أثَّر على أجهزة الملاحة في الطائرة، وأدَّى إلى هذا الاضطراب الذي كاد يُسقط الطائرة.

اقترن التساؤل في عيني الكابتن بالدهشة؛ فكيف لهذه الشابَّة الصغيرة أن تصل إلى ما لم يصلوا هم إليه ... فقال يسألها: تقصدين أنَّها موجات كهرومغناطيسيَّة خارجيَّة؟

ريما: نعم.

الكابتن: من أين؟ من الفضاء الخارجي مثلًا؟!

وفي جِدِّيَّة شديدة قالت «ريما»: نعم.

كان من الممكن أن تُثير إجابة «ريما» سخرية الكابتن، إلا أنَّه سألها باهتمام زائد قائلًا: طبعًا أنتِ لا تقصدين الرياح الشمسيَّة، أو تأثير شُهُب أو نيازك!

ازداد حماس «ريما»، وأكملت وسط إعجاب زملائها: رغم أنَّ هذا ممكنٌ، فإنَّ مصدر هذه الموجات هو قمر صناعي مُوجَّه.

الكابتن: وبالطبع هو يُؤدِّي مهامَّه الاعتياديَّة ولا يقصدنا.

وفي إصرار شديدٍ قالت «ريما»: لا؛ بل هو يقصدنا!

التفت الملَّاح مرَّة أخرى رَغمًا عنه ينظر إليها في دهشة ... واندفع الكابتن يسألها: لولا أنَّكِ عضوة في مُنظَّمة مُهمَّة، لقلت إنَّكِ من هُواة أفلام الخيال العلميِّ.

ابتسمت «ريما» في وقار ... وأمسك الكابتن منديلًا يُجفِّف عرق جبهته وهو يقول لها: يقصدنا نحن، مَن؟ أنتم كمنظَّمة، أم نحن كشركة، أم أحدًا من الرُّكَّاب؟

ريما: بل نحن، أقصد بها طائرتنا، والسبب هو وجودنا فيها!

التفت الكابتن إلى «أحمد»، فرآه يُصدِّق على كلِّ ما قالته «ريما» ... فقال له: ولماذا توقَّفوا الآن؟

فقال «أحمد»: ومَن قال لك إنَّهم توقَّفوا؟ ألا يكون هذا التوقُّف مناورة، أو أنَّنا خرجنا مؤقَّتًا من نطاق سيطرتهم؟!

ثمَّ وفي سؤالٍ مفاجئٍ قال له: أليس لديك أنظمة ملاحة آليَّة؟

الكابتن: تقصد غير إلكترونيَّة؟!

أحمد: نعم؛ حتى لا يمكنهم السيطرة علينا وتوجيهنا!

وفي دهشة وحيرة سأله الكابتن باندفاع قائلًا: وهل هذا ممكن؟

أحمد: لماذا غير ممكن؛ ما دامت الأقمار الصناعيَّة فوقنا؟!

الكابتن: دعك من قيادة الطائرة، ولكن معرفة طريقنا، وحالة الأجواء حولنا؛ هذا هو دور هذه الأجهزة.

أحمد: سنحاول نحن ذلك.

الكابتن: كيف؟ بقراءة النَّجم؟!

شعر «أحمد» أنَّ أعصاب الكابتن توتَّرَت، فلم ينفعل لما قاله، وأجابه في هدوءٍ: إنَّ لدينا أجهزة ملاحة خاصَّة بنا.

وفي انفعال قال الكابتن: قد تكون هذه الأجهزة هي المُتسبِّبة في هذا الاضطراب!
وهنا قاطعه الملَّاح وهو يقول له: ما يقوله السِّيِّد «أحمد» حقيقيٌّ يا كابتن.
الكابتن: وكيف عرفت؟!
الملَّاح: الطائرة لا تسير في مسارها الصحيح!

الاختطاف عن بُعد!

تمكَّن الملَّاح بالاستعانة بالتقنيات التقليديَّة من تحديد موقع الطائرة ومعرفة مسارها ... وقد أذهل الكابتن ما سمعه، وكاد يفقد صوابه لولا «أحمد» الذي حاول تهدئته قائلًا له: يمكننا السيطرة على الأمر إذا احتفظنا بهدوئنا يا كابتن.

ضرب الكابتن ساقيه بكلتا يديه وهو يقول: يا سيِّد «أحمد»، ما تطلبه منِّي غير منطقيٍّ؛ فكيف أحتفظ بهدوئي وأنا لم أَعُد قائد الطائرة؟!

أحمد: لماذا تقول ذلك؟!

الكابتن: يا سيِّدي أنا لا أستطيع تعديل مسار الطائرة، والعودة بها إلى مسارها الطبيعيِّ، والوصول بها إلى مطار «جنيف» في «سويسرا».

ثمَّ وفي سؤالٍ مُباغِت وتلقائي قال له: ألستَ مسافرًا إلى «سويسرا»؟!

نظر له «أحمد» مبتسمًا، وقال في هدوءٍ شديدٍ: بالطبع مسافر إلى «سويسرا».

ولحقه الكابتن قائلًا: ولكنَّك لن تصل إلى هناك!

قال هذا، ومدَّ يدَيه يُعيد محاولات السيطرة على الطائرة، فلم يتمكَّن ... فأمسك بالمايك، وفتح خطَّ الإذاعة الداخليَّة، وقال بانفعالٍ: يا سادة، هذه الطائرة لن تذهب إلى «سويسرا»، ومَن يريد الذهاب إلى «سويسرا» فلينتظر الطائرة التالية.

كان أحمد قد أغلق خطَّ الإذاعة عندما شعر أنَّ الكابتن ليس في حالته الطبيعيَّة، أمَّا «عثمان» فقد ابتسم وقال له: أنا سأنزل هنا وأستقل تاكسي.

نظر الكابتن، وضحك كثيرًا، ثمَّ فتح علبة مياه غازيَّة شربها دفعة واحدة، ثمَّ أسند رأسه على يدَيه، ووضع مرفقَيه على تابلوه الطائرة وهو يقول: ها أنا ذا هدأت ... أرِني كيف ستدير هذه الأزمة يا زعيم!

في هذه اللحظة صاح الملَّاح في وقار قائلًا: لقد تمكَّنت من خداع القمر!

انتفض الكابتن واقفًا وهو يقول له في انفعال واضح: كيف عرفت أنَّك خدعته؟

الملَّاح: لقد تمكَّنت من الحصول على انحراف غير واضح، ولكنَّه متزايد في المسار الحالي لنا.

الكابتن: وهذا الانحراف إيجابي لنا؟!

الملَّاح: نعم؛ فهو يعود بنا إلى مسارنا الأوَّل ... ولكنَّه سيستغرق بعض الوقت.

ريما: لا يُهم؛ المُهم أن نعود.

الكابتن: إنَّ الخروج عن المسار كلَّ هذا الوقت وهذه المسافة، ثمَّ العودة إلى نفس النقطة، ثمَّ متابعة السير إلى «سويسرا» لن تُبلِّغنا هدفنا.

وشعر «عثمان» بغيظٍ يملؤه، فقال يسأله في نفاد صبر: ألا ترى يا كابتن أنَّك شديد التشاؤم، وأنَّ ملَّاحك هو الذي يدير الأمور جيِّدًا؟!

اشتعل الكابتن غيظًا، وطاشت كلماته وهو يصرخ في «عثمان» قائلًا: ماذا تقول أيُّها الأحمق؟ هل وصل الأمر إلى أن أسمع توبيخًا من بضعة صبيان؟!

ثمَّ قال موجِّهًا كلامه للجميع: لماذا أنتم هنا أيُّها الصغار؟!

ثمَّ في صرخةٍ هستيريَّة قال ملوِّحًا بيده في وجوههم: اخرجوا جميعًا من هنا حالًا.

في هذه اللحظة، مدَّ «أحمد» يده، فأمسك بذراعه وثناه خلف ظهره، وجذبه نحوه بقوَّة، ثمَّ قال يأمر الملَّاح: قم يا كابتن، واجلس على مقعد القائد؛ فأنت قائد هذه الطائرة من الآن وحتى نصل إلى «سويسرا» أو أيِّ مكان آمن تراه!

وحاول الكابتن التخلُّص من «أحمد» وهو يصرخ قائلًا: اختطاف ... إرهاب!

في هذه اللحظة، دفع باب الكابينة ضابط أمن الطائرة، ودخل شاهرًا مُسدَّسه، فصرخ فيه «أحمد» قائلًا: أغلِق الباب أيُّها الرجل!

لم يفهم الضابط ما يقصده «أحمد»، وترك الباب مفتوحًا، وصاح فيه يأمره بإطلاق سراح الكابتن، وإلا ... فما كان من «عثمان» إلا أن أطلق كُرته المطَّاطيَّة الجهنَّميَّة، فأطاحت بمُسدَّس الضابط، فالتقطته «إلهام» من الهواء.

واشتعل في الطائرة هرج وصراخ وعويل ... وصاح الكابتن يُوبِّخهم قائلًا: هل ترون ماذا فعلتم بالطائرة؟

وبسرعة البرق، طافت كلُّ الأفكار البرَّاقة برأس «إلهام»، فخرجت إلى الرُّكَّاب واضعة يديها في جيوبها ... وبابتسامة ساحرة قالت لهم: لقد انتهى الأمر ... لقد ذهبت الخمر اللعينة بعقل أحد العاملين على الطائرة، وقد نحَّيناه، وسنُقيِّده في مؤخِّرة الطائرة لنمرَّ به عليكم، وسترونه جميعًا.

أنصت كلُّ الرُّكَّاب لما تقوله «إلهام» ... واندفع من بينهم صوت لرجل يسألها قائلًا: ومَن أنتِ؟!

إلهام: أنا رئيسة طاقم المُضيفات.

فصاح رجل آخَر يقول: أنتِ أجملهم!

فابتسمت «إلهام»، وقالت في سعادةٍ: أشكرك ... هل من أسئلة أخرى؟

هنا تحرَّكت في اتجاهها سيِّدة في منتصف العمر، فقالت لها «إلهام»: من فضلكِ، لا تُغادري مقعدكِ، وأنا أسمعك جيِّدًا.

السيِّدة: متى سنصل؟

وبذكاء قالت «إلهام»: في ميعادنا. عادت مقصورة الطائرة إلى هدوئها، وبأمر من «إلهام» التي امتثل الجميع لنصائحها.

طافت المُضيفات على الرُّكَّاب بالأطعمة والمشروبات مصحوبة بالابتسامات والقفشات الخفيفة؛ لإزالة جوِّ التوتُّر الذي كانوا يعانون منه.

هذا في الوقت الذي كانت كلُّ المضيفات يعانين بداخلهنَّ توتُّرًا شديدًا؛ بسبب ما حدث بداخل كابينة القيادة.

أمَّا في داخل كابينة القيادة، فقد تمَّ تقييد أيدي ضابط الأمن خلف ظهره بشريط لاصق؛ كذلك تمَّ إغلاق فمه بنفس الشريط.

وفي حديث هادئ دار بين «أحمد» والملَّاح الذي صار قائدًا للطائرة، قال له: كيف استطعت خداع القمر والحصول على هذا الانحراف في إحداثيَّات مسار الطائرة؟!

الملَّاح: لقد كنت أفعل هذا مع أجهزة الرادار، عندما كنت ضابطًا بالقوَّات الجوِّيَّة.

وهنا صاح «عثمان» قائلًا: لذلك ظللتَ صلبًا ولم تفقد صوابك.

وعلَّق الملَّاح على ما يقصده «عثمان» قائلًا: الكابتن عادة لا يفقد صوابه؛ إنَّه طيَّار ماهر، وقائد مُحنَّك حكيم، وهناك سبب قوي دفَعه لفعل ذلك.

قال هذا والتفت ينظر إليه، فوجد وجهه مُحتقنًا، وفي عينيه جحوظ مريب ... فقال لـ «أحمد» في قلقٍ: الرجل يُعاني ... من فضلك، ابحث بين الرُّكَّاب عن طبيب، وإن كان هناك طبيب غُدد صمَّاء يكون هذا أفضل.

وفهم «أحمد» ما يقصده الملَّاح، وخرج يبحث عن طبيب بين الرُّكَّاب، وقد أخبرهم أنَّه هو الذي يُعاني، على أن يجعل الأمر سرًّا بينه وبين الطبيب.

ثمَّ قام بمعاونة «عثمان» بإخراجه من كابينة القيادة، ووضعه على كرسيٍّ خاص بالطاقم، خلف كابينة القيادة مباشرة.

في هذه الأثناء، قامت «ريما» بنزع الشريط اللاصق من على فم الضابط، وقالت له: هل فهمت شيئًا ممَّا يجري؟

هزَّ الضابط رأسه في خجل، وقال لها: نعم ... وأرجو أن تقبلوا اعتذاري.

فقالت له «إلهام»: نحن في مِحنة، ونحتاج لمعاونتك ... لا تدخُّلك بهذا الأسلوب المُهيِّج والمثير للقلق ... وعندما عاد «عثمان» و«أحمد» تفهَّما الأمر، وفكَّا وثاقه، وأمروه أن يذهب إلى بوفيه الطائرة ليتناول إفطاره.

فنظر لهما الملَّاح في إعجابٍ، فسأله «أحمد» عن اسمه، فقال له: «أدهم».

ورأى «أحمد» أنَّ الوقت أصبح مناسبًا لتجاذُب الحديث مع الكابتن «أدهم» ... حديثٌ ليس المقصود منه قطع الوقت، لا؛ بل إدارة الأزمة؛ فلا زال الموقف خطيرًا. قال له: هل ترى أنَّ هناك أملًا في النجاة يا كابتن «أدهم»؟

أدهم: دائمًا هناك أمل.

إلهام: هل حدث تحسُّن في موقفنا؟!

أدهم: إنَّكم تدفعونني دفعًا للتصريح بما كنت أنوي كتمانه.

اندفعت «ريما» بفضول جارف تقول له: ما هو يا كابتن «أدهم»؟!

فنظر لها «أدهم» مبتسمًا، ثمَّ نقل عينَيه إلى شاشة المتابعة، وقال: لقد زوَّدت الانحراف أربع درجات، ولم يلاحظوا ذلك حتى الآن.

فقال «عثمان» في اهتمام: ترجم لنا هذا بلغة نفهمها من فضلك.

فقال «أدهم» في تواضُع جمٍّ: أي إنَّ الطائرة الآن تسير بعيدًا عن مسارهم بانحراف أربع درجات زائدة؛ لنتَّجه إلى نقطة العودة إلى المسار الصحيح الذي كنا نسير فيه.

ريما: وهل سيستطيعون اكتشاف ذلك؟

أدهم: أتمنَّى ألا يتمكَّنوا.

أحمد: إنَّ لدينا أجهزة دقيقة الحجم، لكنَّها على اتصال بقمر صناعي خاص بمنظَّمتنا الأمنيَّة ... وعند الحاجة سنحاول الاستفادة منه.

نظر له «أدهم» بفضول، وبعينه سؤال كاد أن يطرحه، لولا أرقام تحرَّكت على الشاشة، تلَتْها أرقام أخرى، فسألته «ريما» قائلة: أشعر أنَّ هناك جديدًا يا كابتن؛ أليس كذلك؟!

أدهم: أنا أحاول أن أزيد الانحراف لتقليل مسافة الرجوع؛ خوفًا من ألا يكفينا الوقود للعودة والوصول إلى أقرب مطار.

أحمد: على ألا يكتشفوا ذلك!

أدهم: أتمنَّى هذا.

وفجأة برقَ وسط السحاب شعاع أزرق دقيقٌ، مرَّ بجوار جناح الطائرة دون أن يصيبه، فعلَّق «عثمان» قائلًا: إنَّه البرق ... أم إنَّها صاعقة؟!

قال «أدهم» معترضًا، ومُصحِّحًا: لا البرق ولا الصاعقة يكون شعاعهما مستقيمًا هكذا!

نظر الشياطين لبعضهم ... وفي اتفاق صامت قال «أحمد»: أترى أنَّه شعاع ليزر؟

فأجاب «أدهم» وهو يُفكِّر: قد يكون ليزر.

شعاع آخَر مرَّ بجوار الجناح الآخَر، فاحتكَّ — بالكاد — بغلافه الخارجي، ولم يُحدِث أثرًا فجًّا.

وهنا صاح «أحمد» قائلًا: إنَّنا نُهاجَم.

أدهم: ممَّن؟

أحمد: من الذين حاولوا اختطاف الطائرة.

أدهم: تقصد أنَّهم اكتشفوا مراوغتنا؟

انشغل أحمد في أزرار ساعته وهو يقول له: هذا مؤكَّد.

شعاع ليزر ثالث ارتدَّ قبل أن يصل إلى الطائرة، ممَّا أثار دهشة الشياطين، ونظروا إلى «أدهم»، وسألوه في صوت واحد قائلين: هل أنت الذي فعلها؟

أدهم: فعلت ماذا؟

إلهام: تصدَّيت لهذا الشعاع؟!

أدهم: وكيف سأتصدَّى له وهو بعيد عنِّي؟!

وهنا طرحت «إلهام» السؤال نيابةً عن الجميع قائلةً: ولكن كيف ارتدَّ هذا الشعاع، ولم يكمل طريقه إلى الطائرة؟

هنا ... وهنا، لقد فجَّر «أحمد» المفاجأة حين قال: أنا الذي فعلتها يا زملائي.

مفاجأة مذهلة!

لم يتوقَّف الجميع عند سرِّ ارتداد شعاع الليزر، بل فكَّروا سريعًا في كيفيَّة الاستفادة من الوضع الحالي؛ فـ «زائيفي» قد اكتشف مراوغة الطائرة له، وهروبها من مسار الاختطاف الذي ساقها إليه.

و«أحمد» تمكَّن من التعامل مع أشعَّة الليزر.

وأيًّا ما تكون النتيجة، فهناك ضرورة حتميَّة الآن لأن يأخذ كابتن «أدهم» أقصى انحراف له؛ للعودة إلى مساره الطبيعي إلى «سويسرا»، وعدم إهدار الوقود أكثر من ذلك.

وهذا ما حدث بالفعل؛ فقد مالت الطائرة ميلًا شديدًا، لكنَّه غير خطير ... ولم يُؤثِّر ذلك على الرُّكَّاب؛ لأنَّ مَن قام به قائد ماهر.

وكأنَّما كان هذا الميل وهذا الهروب مفاجأة أثارت أعصاب «زائيفي»؛ فقد انطلقت أشعَّة الليزر حول الطائرة، فتقاطعت في خطوط طوليَّة وعرضيَّة، ولشد ما أثار دهشة الشياطين أنَّها لم تُصِب الطائرة ... غير أنَّهم ظلُّوا مترقِّبين في خوف؛ فلو أنَّ شعاعًا من هذه الأشعَّة أصاب الطائرة، لأسقطها سقوطًا مُدوِّيًا!

بدأ انحراف الطائرة وميلها يقلُّ تدريجيًّا، غير أنَّ «أدهم» قال لهم في قلق: أنا غير متأكِّد الآن من صحَّة المسار الذي نتَّبعه.

تمالك الجميع أعصابهم؛ فأيُّ إثارة للأعصاب الآن تُشتِّت تفكيرهم، وهم أشدُّ ما يحتاجون للتركيز الآن.

وقال له «أحمد»: ألا يمكنك اختبار أجهزة الملاحة الإلكترونيَّة الآن؟!

أدهم: إنَّني أحاول، ولكن بلا جدوى!

وبرقت عينا «عثمان»، وضرب جبهته بكفِّه ... وقال في لهجة المكتشف: أجهزة المحمول الخاصَّة بنا؛ لماذا لا نستخدمها؟

فقالت «ريما» ناسية: حتى لا تؤثِّر على أجهزة الملاحة.

وفجأة تذكَّرت أنَّ أجهزة الملاحة مُعطَّلة بسبب الأشعَّة الكهرومغناطيسيَّة المُسلَّطة عليها من الخارج.

وهنا قال «أحمد» في صوت مسموع: أنت رائعٌ يا «عثمان»!

وقام بالاتصال برقمه الكوديِّ على القمر، فلم يُفلح؛ فأجهزة الاستقبال به لم تعُد تستجيب؛ فماذا حدث للقمر إذَن؟ هل ضاع حقًّا بعد تدمير أطباق التحكُّم الأرضيَّة؟!

مرَّة أخرى حاول «عثمان»، ومرَّات حاولت «ريما»، وكثيرًا «إلهام»، غير أنَّ القمر لا يستجيب، وأشعَّة الليزر أصبحت أكثر ضراوة وأشعَّتها أكثر غِلظة ... غير أنَّها لا تُصيب الطائرة؛ لماذا إذَن؟!

وكان هذا سؤال «أدهم» لـ «أحمد»، فقال: كلُّ هذه الأشعَّة ولا تصيب الطائرة؟ هذا يعني أنَّ هناك خللًا في جهاز التوجيه!

لم يوافق «أحمد» على كلامه، فقال: لو أنَّ هناك خللًا في جهاز التوجيه لأصابتنا أكثرُ هذه الأشعَّة؛ لأنَّها أمامنا والطائرة تتحرَّك.

أدهم: إذَن لماذا لا تصيبنا؟

أحمد: لأنَّ مَن يُطلقها لا يريد هذا.

أدهم: لا أفهم!

أحمد: لا أستطيعُ أن أُصرِّح لك بأكثر من هذا، ولكن عليك أن تصل بنا إلى أقرب مطار يُمكننا الوصول إليه ... ويمكنك الاستفادة من أجهزة المحمول الخاصَّة بنا.

كان «عثمان» ينتظر نهاية الحديث بين «أحمد» و«أدهم»؛ لينفردَ بـ «أحمد» في ركن غير بعيد، ويسأله سؤالًا يُحيِّره قائلًا: كيف عرفت أنَّ «زائيفي» لا يريد قتلنا؟!

«أحمد»: لسببين ... الأوَّل؛ لأنَّه لو أراد تدمير الطائرة لفعل هذا منذ البداية وحتى الآن ... الثاني؛ لأنَّ لنا ثمنًا، هذا الرجل يطمع فيه، أم نسيتَ المائة وخمسين مليون دولار التي فاوضَنا عليها؟!

عثمان: تقصد أنَّه حتى الآن يطمع فيها؟!

أحمد: نحن لم نُعلمه بالرفض حتى الآن.

عثمان: إذن فلنلاعبه بحرِّيَّة.

أحمد: لا نستطيع ذلك؛ فلو شعر بخطورتنا على حياته أو عمله سيقتلنا ويحصل على المائة مليون دولار، التي وعدته بها «سوبتك»!

وفجأة ترك «عثمان»، واقترب من «أدهم» وقال له: ما رأيك في المُناورة؟!

أدهم: لا أفهم.

أحمد: أريد أن أُشعِره أنَّنا نضيع منه.

أدهم: كيف؟

أحمد: أريد أن تتَّخذ وضع الهبوط، ثمَّ تهبط إلى أسفل نقطة يمكنك الهبوط إليها، ثمَّ العودة مرَّةً أخرى. في هذه اللحظة، ستعمل أجهزة الملاحة الإلكترونيَّة؛ لأنَّ أجهزة الشوشرة وقتها لن يمكنها رصدك.

أدهم: تقصد أنَّك تريد الشوشرة على أجهزة الشوشرة؟!

أحمد: نعم ... وعلى عقل وتفكير هذا الـ «زائفي»؛ نريد أن نُلاعبه.

وابتسم «أدهم»؛ فقد صرَّح «أحمد» بما كان يكتمه ... وابتسم «أحمد» لهذه الزلَّة، غير أنَّه وجدها فرصة للاستفادة منه؛ فهو رجل عسكريٌّ، و«زائيفي» كذلك ... سيكون أسلوب عملهما مفهومًا لهما.

فقال له: كابتن «أدهم»، هذا الرجل الذي نلاعبه لواء جيش متقاعد، ودكتور في العلوم العسكريَّة، ويتعاون مع عصابة خطيرة وضعت تحت تصرُّفه قمرًا صناعيًّا للاتصالات، وقاعدة لإطلاق أشعَّة ليزر مداريَّة.

أدهم: أهي التي تُمطرنا بهذا الوابل من الأشعَّة؟!

أحمد: نعم.

أدهم: أنا أرى أنَّ خُطَّتك هي الأفضل الآن.

وفي حركة مفاجئة، مالت الطائرة لأسفل ... وخرجت «إلهام» و«ريما» ليطلبا من الرُّكَّاب ربط الأحزمة والتزام الهدوء.

حالة من الراحة والتفاؤل سَرَت بين الركاب جميعهم؛ فقد ظنُّوا أنَّهم وصلوا إلى «سويسرا»، وأنَّهم في طريقهم في ميلها ... إنَّها أصبحت مثل الصقر الذي انقضَّ على فريسته ... إنَّ شدَّة ميلها أصابت ركَّابها بحالة من الذُّعر.

ونفس الذُّعر أصاب «زائيفي»؛ فقد شعر أنَّ الصيد يفرُّ منه، وأنَّه سينهزم في أوَّل مواجهة بينه وبينهم ... لذلك، فقد آثَر أن يُحادثهم، فأوقف فيض الأشعَّة الكهرومغناطيسيَّة المُسلَّطة على الطائرة ... ورأى «أدهم» لأوَّل مرَّةٍ منذ اتَّخذ قرار الهبوط أجهزة الملاحة تعمل بصورة طبيعيَّة ... وشعروا أنَّ خُطَّة «أحمد» قد نجحت، إلا أنَّ «أحمد» لم يشعر بهذا النجاح إلا عندما رأى وجه «زائيفي» على شاشة جهاز توجيه الطائرة!

نعم ... ظهر وجه «زائيفي» على شاشة كمبيوتر الملاحة الإلكترونيَّة، وهو يقول لهم: ماذا تفعلون؟!

ابتسم «أحمد» في زهوٍ، وقال: ليس أمامنا إلا هذا.

ثار «زائيفي»، وانتفض جسده، وصرخ يقول في حِدَّة: إلى ماذا أيُّها المجنون؟ إنَّ معك مئات الأرواح!

ضحك أحمد في سخرية، وقال له: أكنت تخطفنا من أجل هذه الأرواح؟!

زائيفي: لقد كنت أريدكم أنتم فقط، ولم أكُن أنوي قتل أحد!

كانت الطائرة تواصل الهبوط في سرعة مخيفة، ممَّا أثار «زائيفي» أكثر ... فصرخ في هَلَع يقول: أوقفوا هذه المهزلة!

فقال له «عثمان»: والثمن؟!

همس «أدهم» لـ «أحمد» قائلًا: لم يعُد الوقت في صالحنا ... لم يتبقَّ غير ثوان معدودة ونُعاود الصعود مرَّة أخرى ... فقال له «أحمد» يُطمئنه: أمر قيادة الطائرة في يدك أنت، فاتَّخذ ما شئت فيه من قرارات.

والتفت «عثمان» إلى إشارة لا سلكيَّة تحاول المرور بين موجات اتصال «زائيفي»، فنبَّه إليها «أدهم» الذي حملها على برنامج المؤازرة، وبعد ثوانٍ اتَّضحت الإشارة؛ إنَّها من برج مراقبة ... وهنا صرخ كابتن «أدهم» رغم وقاره ... صرخ من المفاجأة، وصرخ من الفرحة؛ فالأمل قد تضاعف عشرات المرَّات في النجاة.

فالإشارات كانت من برج مراقبة مطار ... أوه ... إنَّه مطار «جنيف» الدولي يا «أحمد»!

لم يُصدِّق «أحمد»، ولم يُصدِّق الشياطين ... اعتدلت الطائرة بناءً على رغبة كابتن «أدهم»، اعتدلت بنعومة، بانسيابيَّة ... اعتدلت بناءً على مهارة هذا القائد المحارب، وبناءً على رؤية هذا الزعيم المحارب «أحمد»، وأخذت في الهبوط وسط صيحات تهليل من الرُّكَّاب، وصيحات الغضب من «زائيفي» والتهديد والوعيد.

وضحك الشياطين كثيرًا لهذه المصادفة؛ فعودة الطائرة من مسار الاختطاف كان في انحرافٍ وصل بها إلى «سويسرا».

يا لكَ من تعيس يا «زائيفي»؛ فقد هُزمت من أوَّل نِزال بيننا ... هكذا قال «عثمان».

ويا لكَ من محظوظٍ يا كابتن «أدهم»؛ فقد وضعك هذا الاختبار في قلوب الشياطين وعقولهم.

وعلى أرض المطار، هبطت الطائرة، وأرسل «أحمد» رسالةً إلى رقم «صفر» عَبْر ساعة يده يقول فيها: وصلنا إلى أرض العمليَّة بسلام.

هنـــداوي